الفصل الثاني

الحرب وهرمية السكان

تمهيد

يصنف الحرب من العوامل الخارجية المؤثرة على السكان في العالم، وهو العامل الخارجي الذي يؤثر في الهرم السكاني للمجتمع الذي يخوض الحرب، فهو يؤثر في شكله وحجمه ومستقبله اي مستقبل الهرم السكاني في المجتمع، فالحرب اخطوط مدمر تطول اثاره السكان بمختلف اصنافهم وفئاتهم، كما هي تطول الموارد الاقتصادية الاخرى.

فالحروب التي عصفت بالعراق اثرت على سكانه من ابعاد مختلفة (الحجم، التركيب.....وغيره)، فاثر سلبا على مستقبل سكان العراق والتنبؤات الديموغرافية في المجتمع العراقي. لذا ساحاول في الصفحات القادمة تفسير.

المبحث الأول

اثر الحرب على التركيب النوعي للسكان

يشتمل تكوين السكان على عناصر هي(العمر، والنوع، والمهنة، والجنس، والزواج، والتعليم، ومكان الإقامة) ويرجع اهتمام دارسو السكان بظاهرة تكوين السكان إلى عدة أسباب منها إن المعطيات المتعلقة بظاهرة تكوين تفيد في توفير أوصاف السكان والتي تسمح بالمقارنة بينهم، وفي إتاحة الفرصة للتعرف على الموارد البشرية في المجتمع وفي فهم البناء الاجتماعي وتغيره [1].

ومن الأهمية معرفة التوليفة السكانية المتمثلة بالتركيب العمري والنوعي لسكان مجتمع ما فالسكان ليسوا أعداد يعيشون ويكونون المجتمعات بل هم مختلفو الخصائص الديموغرافية خاصة من حيث (العمر، والنوع) فالمجتمع الذي يغلب عليه الصغار أي يرتفع فيه الفئة العمرية الصغيرة (مجتمع فتي) له مشاكل ومتطلبات في الحياة تختلف عن مثيلاتهما من المجتمعات التي تغلب عليه الكبار أي يرتفع فيه الفئة العمرية الكبيرة (مجتمع شائخ) والمجتمع الذي يغلب علية احد النوعين (الذكور، أو الإناث) مجتمع غير متوازن يعاني من خلل في الناحية النوعية لسكانه، وعلى العموم تشير الدراسات السكانية إن شعوب العالم النامي تغلب عليها الطابع الفتي- أي أنها تمتاز بارتفاع عدد الفئة العمرية الصغيرة السن على مجموع سكانها، وعلى العكس من ذلك شعوب العالم المتقدم

ان أهم العوامل التي ركبت هذه التوليفة السكانية لشعوب العالم هي ارتفاع معدلات المواليد في الدول النامية مع انخفاض في معدلات الوفيات، أما في الدول المتقدمة فحدث انخفاض في معدلات المواليد وارتفاع في معدل العمر المتوقع للفرد مما زادت أعداد المسنين والناضجين، ومن اجل توضيح التركيب العمري والنوعي للسكان في العالم نستعمل الأهرامات(ليست الأهرامات الفرعونية) إنما الأهرامات السكانية "وهي مخططات بيانية على شكل الأهرامات" والتي تمثل عليها الأعداد المطلقة للسكان أو النسب المئوية أوكليهما معا، وعادة تمثل الذكور يسار الهرم السكاني والإناث يمين الهرم فكلما زادت قاعدة الهرم اتساعا تسارع النمو السكاني في المستقبل كما هو الحال في الشعوب النامية وبالعكس عندما تضيق قاعدة الهرم السكاني يقل النمو السكاني [2]، يعد الهيكل العمري للسكان المرآة التي تعكس واقع السكان من حيث المراحل الزمنية والعمرية التي يمر بها (فتوته، أو شبابيته، أو شيخوخته) كما يعكس أيضا حالات التوازن أو عدم التوازن بين الفئات العمرية المختلفة التي تكون المجتمع وبما يتطابق مع التوازن أو عدم التوازن بين النشاط

(1) علي عبد الرزاق ألجلبي، علم اجتماع السكان، مصدر سابق، ص 197.

(2) عبد الله حمادة الطرزي، الجغرافية البشرية، دار الفرقان للنشر والتوزيع، الأردن، 2000، ص 20.

الإنتاجي وبين النشاط الاستهلاكي للاقتصاد في أي مجتمع سواء بالنسبة للحاضر أو بالنسبة للمستقبل ولعل أفضل وسيلة لتحديد هذا الهيكل هو المخطط البيني (الهندسي) المسمى ب (هرم الأعمار) يجسد نسبة فئات الأعمار المختلفة خلال مرحلة الحياة التي تقدر عادة لأغراض الدراسة والتحليل بمائة عام، يتأثر الشكل (التركيب) الداخلي للهرم السكاني بالأحداث الحياتية كـ(الولادات، والوفيات) للفئات المختلفة المكونة للهرم، بينما يتأثر الشكل الخارجي للهرم السكاني بالإحداث العرضية الخارجية كـ(الحروب،والهجرة)[1].

العوامل المؤثرة في التركيب السكاني.

1. **الهجرة:** - من العوامل التي تلعب دورها الرئيسي في التوليفة السكانية للمجتمع، اذ أن الهجرة الوافدة الى المجتمع عادة ما تؤثر في ارتفاع عدد الذكور إلى الإناث فيرتفع معدلات الذكور عن الإناث. أما الهجرة الطاردة الى خارج المجتمع فلها الدور الفعال في انخفاض معدلات الذكور إلى الإناث، وذلك بسبب ان نسبة الذكور المهاجرين أعلى من نسبة الإناث وخاصة في المجتمعات العربية.
2. **الحروب:**- □اول العديد من العلماء دراسة اثر ال□روب على السكان، وكانت لدراسة العالم(طومسون) في اثر ال□رب على النمو السكاني نتائج هامة اذ أشار الى أن ال□روب عاملا سلبيا في □جم السكان[2].فعلى الرغم من ان ال□روب وخاصة ال□ديثة منها تستهدف السكان بكافة فئاته (الطفولة_الشباب_الشيوخ) وهذا ما□دث لسكان العراق في□رب الخليج الأولى 1990، اذ استهدف ال□رب المتمثل بالقصف الصاروخي والجوي سكان العراق بكافة فئاته لأنها استهدفت المدنيين.الا ان عادة ما ال□روب تستهدف الشباب باعتبارهم القوى المقاتلة التي لها الإمكانيات الجسدية والعقلية التي تستطيع القتال في س□ات ال□رب والمعارك، وخير مثال على ذلك إن فقدان العراق في□روبه الثلاث ما يقارب (2 مليون)بين قتيل ومفقود□سب إ□صائية الأمم المت□دة وهم من الشباب [3].

(1) منصور الراوي، سكان الوطن العربي، مصدر سابق، ص347.

(2) عبد ال□ميد لطفي و□سن الساعاتي، دراسات في علم السكان، دار المعارف بمصر، 1977، ص83.

(3) جمهورية العراق، وزارة التخطيط، مسح الأ□وال المعيشية في العراق 2004،مصدر سابق، ص127.

3. انتشار ممارسة **وسائل ضبع النسل** وتـديده، اذ قد يؤدي ذلك إلى زيادة نسبة الذكور على الإناث وذلك ـينما تكتفي الأسرة بالمولود الاول، وخاصة ـينما يكون المولود الأول ذكراً[1].

لعبت الـروب والظروف التي تلت الـروب في العراق دورها الفاعل في التأثير على الهندسة السكانية في العراق (التركيب السكاني)، فعادة ما تـصد الـروب أرواح الشباب في سـات القتال إلا ان الـروب التي خاضها العراق باستثناء الـرب العراقية الإيرانية 1980_1988 كانت ـروب شاملة في كل شيء ـتى في الخسائر إذ انها لم تستهدف الشباب ـصرا كما في الـرب المـدد وإنما امتد إلى الفئات السكانية الأخرى، ففي ـرب عام 1990 وصلت الـرب إلى المدن العراقية والى سكانها فراح ضـيتها الأطفال والنساء والشيوخ، فالقصف العشوائي للقوات الأمريكية والـلف الأطلسي لعام 1990 استهدف السكان الأبرياء العزل التي تـرم الشرائع الدولية استهدافهم، كاستهداف (المنازل، والمدارس، ودور العبادة، والملاجئ المدنية).

لانها ـرب كانت سـاتها المدن المكتظة بالسكان المدنيين، مما راح ضـيته الالاف بسبب استهداف المواقع المدنية، وان الفرق بين الـرب الاولى (الـرب العراقية الايرانية 1980_1988) وبين الـرب الخليج(عام 1990) هو أن الـرب الأولى كانت بعيدة نسبيا عن المدن باستثناء بعض المدن الـدودية، كانت أكثر ضـاياها من الجيش (الشباب)، اما ـرب الخليج فكانت ضـاياها من المدنيين إلى جانب العسكريين، فضلا انها كانت تستهدف المدن العراقية كافة بدون استثناء سواء كانت ـدودية أم لا.

أما الـرب الاقتصادية فهي كانت الشامل في أثرها على سكان العراق، وتلتها الـرب الأخيرة عام 2003، أثرت على سكان العراق من النـية الهيكلية وعلى النـو التالي:-

1. أشارت الإسقاطات السكانية والإـصاءات الى ارتفاع عدد الإناث في العراق عن عدد الذكور للأعمار (18_45 سنة)، وذلك من وجهة نظرنا يعود إلى الأسباب التالية:-

أ. وفيات الذكور بسبب الـروب، لان القوى العسكرية كانت من الذكور.

(1) عبد الـميد لطفي وـسن الساعاتي، دراسات في علم السكان، مصدر سابق، ص83.

ب. هجرة الشباب في المدة 1990_الى وقتنا الحاضر من العراق الى الدول المجاورة بحثا عن الذات والأمان والعمل وغيره.

2. ارتفاع معدلات الإناث في سن الشيخوخة (65سنة) فاكثر عن معدلات الذكور وذلك لوفيات الذكور في هذا العمر بالأمراض المستعصية والمزمنة، وربما يعود السبب نظرنا الى التدخين، والأعمال الشاقة التي يمارسه الذكور قبل هذا السن.

3. ارتفاع معدلات الذكور في فئة الأطفال عن معدلات الإناث إلى عمر(12 سنة) في العراق، وربما يعود السبب الى ان الإناث أكثر اهتمالا من الإصابة بالأمراض من الذكور لأنهن الأضعف في التحمل، فضلا عن الاهتمام بالذكور يسود على الإناث في الأسرة العراقية بحكم العادات والقيم التي تفضل المولود الذكر على الأنثى في المجتمع.

ويمكن ان نرسم مخططا لهرم سكان العراق يوضح واقع التركيب النوعي لسكان العراق.

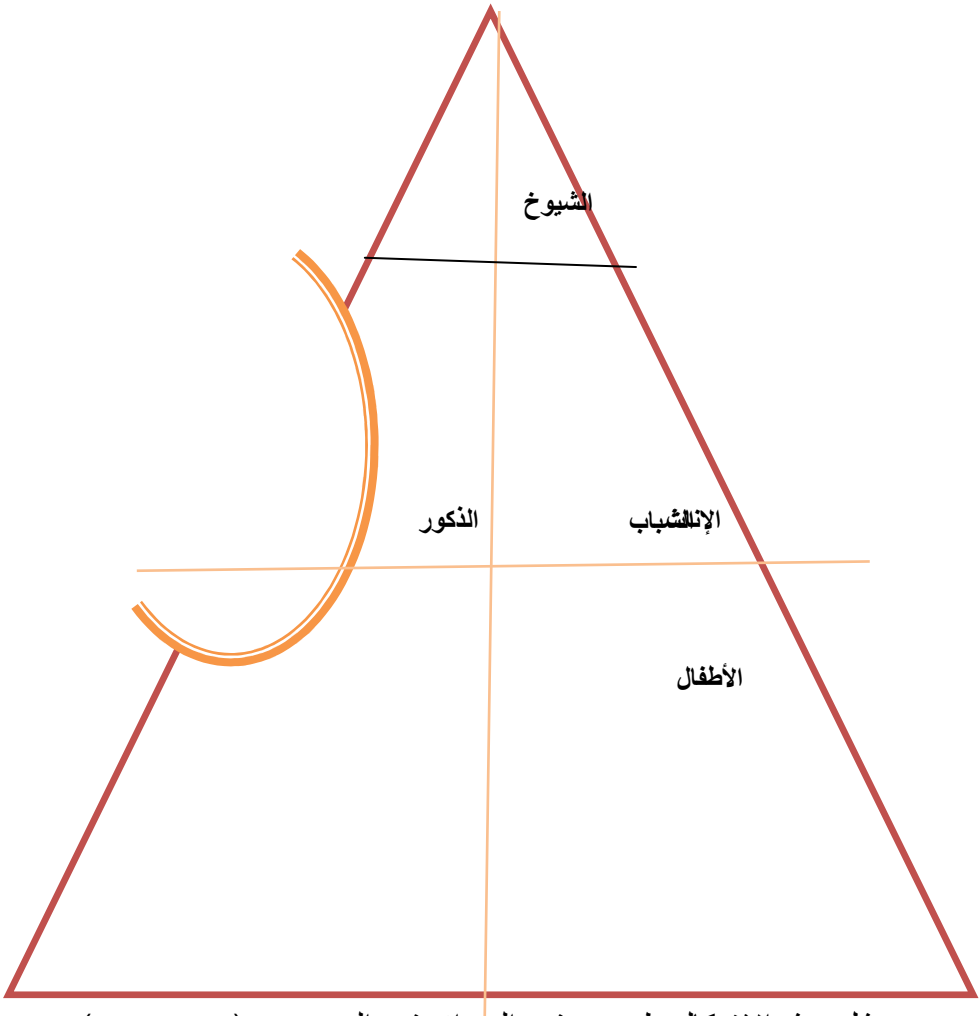

ومثل هذه الإشكال ظهرت في العراق في المدة بين (1980-2008) بسبب الحروب التي خاضتها البلاد (الحرب العراقية الإيرانية مابين 1980-1988 ومن ثم حرب الخليج عام1990، وأخيرا احتلال العراق 2003) والهجرات الخارجية التي أصبحت سمة وطموح الشباب في المجتمع العراقي بسبب الظروف الصعبة التي يمر به المجتمع العراقي من جراء ما أعقبت الحرب من ظروف تمثلت بالحصار الاقتصادي وظهور البطالة والتضخم وغيرها والى وقتنا الحاضر.